من تراب الطريق! (٢٢٢) - الهوان الحقيقى ! (*)

يخطئ من يبحث أو يفتش عن " العدل " كفكرة أو كقيمة فى قرار المحكمة الجنائية الدولية بتوقيف الرئيس السودانى عمر البشير .. ذلك أنه إذا كان العدل البشرى نسبيا، إلاّ أنه فى المجال الدولى أبعد ما يكون عن توجهات وتطبيقات وآليات أشخاص القانون الدولى ومجالسه ومنظماته ومحاكمه . لو كان العدل حاضرا فى كل ما يصدر عن هذه المنظمات، لاختلفت المشاهد والصور المعروضة اختلافاً كبيراً وأساسياً وجذريا !

خذ عندك " مقاومة الإرهاب "والمساءلة عنه . من ناحية المبدأ لا يختلف على ذلك أحد، ولا يجافيه عاقل، ولكن آليات المقاومة والمساءلة تفرق وتميز وتفرض قبضتها على من تريد وتترك من تشاء، ولا تطبق فيما تختار وفيما تدع - المعايير المتعارف عليها فى مبادئ وقواعد المسئولية بكل صورها، وإنما تضع لنفسها معاييرها الخاصة، فتجد الولايات المتحدة مثلاً، فى ملاحقتها للإرهاب، تستخدم وسائل إرهابية تشف عنها إجراءاتها التعسفية ومعتقلاتها وسجونها وما يجرى فيها من إرهاب وتعديات صارخة على حقوق الإنسان، وتجدها فى ملاحقتها التى تخلط خلطاً لا يقبله عقل بين مقاومة الاحتلال - وهى حق مشروع لا يوصف ولا يجوز وصفه بالإرهاب، وبين إرهاب الدولة الذى تمارسه إسرائيل على الواسع وترتكب به كل يوم جرائم حرب وإبادة وجرائم ضد

(*) المال ٢٠٠٩/٣/٩

الإنسانية، متمتعة بحماية أمريكية / دولية لا تقترب من هذا الكيان العدوانى البشع بل وتختلق له الأسباب والتعلّات والمعاذير !

لذلك فالمشهد الراهن الذى تتصدره مذكرة التوقيف الصادرة بحق الرئيس السودانى، ليس مشهد عدل ولا حق ولا إنصاف، ولا محل بتاتاً لمناقشته بفكرة أو مبدأ العدالة والحق، فلو انتمى إلى هذه القيم لرأينا مذكرات توقيف صادرة عن المحكمة الجنائية الدولية ضد رؤساء وقادة ومسئولى إسرائيل المخضبة أيديهم كل يوم بدماء الشهداء الفلسطينيين، من النساء والأطفال والشيوخ والعزل - فى جرائم حرب وإبادة وضد الإنسانية !

لو انتمى هذا القرار أو مذكرة التوقيف إلى قيم العدالة والحق والإنصاف، لرأينا مذكرات أو قرارات توقيف صادرة بحق الرئيس الأمريكى جورج بوش الابن وكثير من معاونيه وأركان إدارته الذين تورطوا على مدار أعوام، فى أفغانستان ثم العراق، فى جرائم حرب وإبادة وضد الإنسانية، واستخدموا أبشع أنواع الإرهاب بزعم أنهم يقاومون الإرهاب، ودمروا بلداً كالعراق تدميراً شاملا بحجج وذرائع انكشف للعالم أنها كاذبة، واستباحوا شنق رئيس العراق فى مشهد مأساوى ليكون " الضحية " فى أول أيام عيد الأضحى المبارك !!

فى الوقت الذى تتغنى الولايات المتحدة بالحرية ورفض الإرهاب، تبيح لنفسها وتبيح لربيبتها إسرائيل أبشع وأشنع صور الاعتداء على الحريات والأرواح والكرامات الإنسانية، ويشهد على ذلك ما تسرب عما يجرى فى سجن أبوغريب ومعتقلات جوانتانامو وغيرها - من تعذيب وجرائم ضد الإنسانية وتحقير للأديان وكتبها السماوية، حتى التقطت الصور لجنودها وهم يدنسون القرآن الكريم الذى يدين به ويقدسه ما يزيد على مليار ونصف مليار مسلم يملأون قارات الدنيا !

لقد صدَّرت الولايات المتحدة " ازدواجية " المعايير للنظام الدولى ومنظماته وآلياته، فباتت فيه الحصانة شاملة الأمريكان والإسرائيليين ومن يجرى فى فلكهما، ولم تتجرأ القرارات والملاحقات إلاّ على الرؤساء العرب ! .. رأينا أحدهم مشنوقا، والآخر يُتابع ويُلاحق كل يوم بشتى السبل والأساليب لجره إلى ساحة المساءلة بزعم التحريض أو المشاركة فى اغتيال الحريرى الذى صارت أمريكا أكثر غيرة عليه من لبنان، ثم ها نحن نرى ملاحقة وقرار المحكمة الجنائية الدولية بتوقيف الرئيس السودانى عمر البشير !

لو شئتم مناقشة هذا المشهد، فلا تناقشوه من زاوية " العدالة " وهل حَنَثَ أم لم يحدث ما ينسب إلى الرئيس السودانى، فليست العدالة هى القيمة التى تحرك آليات المجتمع الدولى، وإنما فتشوا فى أسباب " الهوان " العربى .. هذا الهوان هو البطل الحقيقى للمشهد الراهن، لو عرفتم أسبابه لوفرتم الحماية والأمان والاحترام ليس فقط للملوك والرؤساء، وإنما للشعب العربى كله من المحيط إلى الخليج !!